Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

Structural Fit in Definition and Disguise Part (has heard) field

Khunja Sabah Ahmed

M.A. Student/ Department of Arabic Language / College of Arts / University of Mosul

Ahmed Mohammed Ali

Asst. Prof / Department of Arabic Language / College of Arts / University of Mosul

Article information

Article history:
Received September 2. 2022
Reviewer September 26. 2022
Accepted October 1. 2022
Available online June , 2023

Keywords:
psychological meanings
Arabic rhetoric
Arabic language
Definition, Qur'anic

Correspondence:
Ahmed Mohammed Ali
ahmed.mohammed.a@uomosul.edu.iq

Abstract

It is known to scholars that speech systems are only a sensory image embodied by abstract psychological meanings in the speaker's soul, and the theory of systems in its cognitive reality came to explain the impact of psychological meanings on speech systems and the arrangement of their elements. From that definition and denial as they are two topics from the investigations of semantics in Arabic rhetoric. Linguists, after extrapolating the Arabic language, devised the means of definition in Arabic, which are six, and they put a definition of knowledge and a definition of the indefinite, and they came up with rules that control the use of knowledge and negatives in the meanings of Arabic. The denunciation in the event of its transmission represents one aspect of the rhetorical compatibility in speech, and in the Qur'anic expression. It has another matter that is not comparable to any other matter. This research aims at showing the effect of definition and denial on the compatibility of the miraculous Qur'anic text in the "Has Heard" part, by analysing models of these two methods in the part in question.

DOI: 10.33899/radab.2023.178491 , ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

التّلاؤم التركيبي في التّعريف والتّنكير جُزءُ (قد سَمِعَ) ميدانا

خونجه صباح أحمد* **أَحمد محمد علي****

المستخلص :

نظرية النظم في واقعها المعرفي جاءت لبيان أثر المعاني النفسية في نظم الكلام وترتيب عناصره ، ومن ذلك التعريف والتنكير بوصفهما مبحثين من مباحث علم المعاني في البلاغة العربية ، وقد استنبط علماء اللغة بعد استقرائهم لغة العرب وسائل التعريف في

* طالبة ماجستير / قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل .
** أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل .

العربية وهي ستة ، ووضعوا تعريفاً للمعرفة وتعريفاً للنكرة ، وتوصلوا إلى قواعد تضبط توظيف المعارف والنكرات في معاني العربية ، هذه الضوابط والأصول تجلي جانباً من جوانب التلاؤم البلاغي بين أسلوبي التعريف والتنكير وسياقاتهما التي يأتيان فيها ، فالتعريف والتنكير في حال انتقاله يمثل وجهاً من وجوه التلاؤم البلاغي في الكلام.
الكلمات المفتاحية: التعريف، التنكير، التلاؤم البلاغي، القرآن الكريم،

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فمن المعروف لدى الدارسين أن نظم الكلام إنما هو صورة حسية مجسدة لمعانٍ نفسية مجردة في نفس المتكلم ، ونظرية النظم في واقعها المعرفي جاءت لبيان أثر المعاني النفسية في نظم الكلام وترتيب عناصره ، ومن ذلك التعريف والتنكير بوصفهما مبحثين من مباحث علم المعاني في البلاغة العربية ، وقد استنبط علماء اللغة بعد استقرائهم لغة العرب وسائل التعريف في العربية وهي ستة ، ووضعوا تعريفاً للمعرفة وتعريفاً للنكرة ، وتوصلوا إلى قواعد تضبط توظيف المعارف والنكرات في معاني العربية ، هذه الضوابط والأصول تجلّي جانباً من جوانب التلاؤم البلاغي بين أسلوبي التعريف والتنكير وسياقاتهما التي يأتيان فيها ، فالتعريف والتنكير في حال انتقاله يمثل وجهاً من وجوه التلاؤم البلاغي في الكلام ، وفي التعبير القرآني له شأن آخر لا يدانيه أيُّ شأنٍ ، وهذا البحث جاء ليبين أثر التعريف والتنكير في تلاؤم النص القرآني المعجز في جزء (قد سمع) ، وذلك من خلال تحليل نماذج من هذين الأسلوبين في الجزء موضوع البحث .

التّعريف والتّنكير مِن الظواهر المهمة في علم المعاني، ويُعدُّ لَبِنَة مُهمّة والحجَر الأساس الذي يقوم عليه علم المعاني، ولا يُمكن تجاهلها لأنّ ذلك يؤدّي إلى إحداثِ شرخٍ في البناء وتشويه لقيمته الجماليّة، وهذه اللّبِنَة أحد أهم العوامل لفهم المعنى في النّص، وكذلك أحوال المخاطبين، ولكلّ منهما أغراضه ودواعيه، ومِن خلال الأغراض والدّواعي تفتح الآفاق لالتقاط دُرَر المعاني ونفائسها وإدراك لطائف التّعريف والتّنكير، وكلاهما مُتعلّقان بالاسم، لأنّ الاسم قد يكون نكرة أو قد يكون معرفة، ووردتا كثيرًا في القرآن المعظّم الوظيفة التي يؤدّيانها في المعاني، وإبراز جماليّات المعاني ودلالتها وما يتضمّنانه مِن قيم فنيّة تحمل في طيّاتها معاني عميقة تُظهر عظمة القرآن وإعجازه.

_ مفهوم التّعريف والتّنكير لغة:

1_ التّعريف: يعود إلى الجذر الثلاثي (عرف)، وقال ابن فارس (ت:395ه): ((العين والرّاء والفاء أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على تتابُعِ الشّيءِ متّصلًا بعضه ببعضٍ، والآخرُ على السّكونِ والطّمأنينة))[1]، وقد ساق عدّة معانٍ لغويّة لـ(عرف): ((ومن المستعار: أعراف الرّيح والسّحاب والضّباب لأوائلها، ومِن خلال المعاني اللغويّة (للتّعريف) تبيّن أنّه يعني العلم بالشّيءِ وإدراكه.

2_ التّنكير: والمعنى اللغوي للتنكير في المعاجم العربيّة من فعل (نَكِرَ) ومصدره (النُّكْرُ)، قال ابن فارس: ((النون والكاف والرَّاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خلاف المعرفة التي يسكُنُ إليها القلبُ، ونكر الشيء وأنكرهُ: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه))[2]، ومن خلال المعنى اللغوي لِـ(نَكَرَ) تبين أنّه الجهل بالشيء وعدم معرفته.

_ التّعريف في الإصطلاح:

عُني العلماء قديمًا (بالتّعريف)، إلّا أنّهم لم يضعوا له حدًّا، فمنهم مَن ذكره مِن خلال المعارف كسيبويه (ت:180هـ)، فقال: ((وإنّما صار معرفة لأنّه اسمٌ وقعَ عليه يُعرف به بعينه دون سائر أمته))[3]، ومنهم مَن وضع له حدًّا كالمُبرّد (ت:384هـ) فقال: ((ما وُضِعَ على شيء دون ما كان مِثْلَهُ))[4]، أمّا الرماني (ت:384هـ) فهو أوّل مَن وضع له تعريفًا صريحًا فقال: ((والمعرفة المُختصّ بشيءٍ دون غيره بعلامةٍ لفظيّة))[5]، وعبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ) عرّفه بقوله: ((المعرفة ما أُريدَ به واحد بعينه، أو جنس بعينه على الإطلاق))[6]، كما أنّه رأى أنّ التنكير أصل والتّعريف فرعٌ عليه[7]، ويُفسّر كلامه بقوله: ((إذ الشيء يُعرف بعد أنْ يكون مجهولًا))[8]، ولعل هناك علاقة بين المعنى اللغوي والدلالة الاصطلاحية، فالتعريف في اللغة يعني وضع علامة مُعرفةِ تميز شيئاً من أشياء أخرى، وهذا المعنى رأيناه في تخصيص ألفاظ معينة لتعريف النكرة ، فالتعريف إذاً وسيلةٌ من وسائل إيضاح المعاني.

_ التنكير في الإصطلاح:

---

(1) مقاييس اللغة: 281/4 .
(2) مقاييس اللغة: 476/5 .
(3) الكتاب: 5/2 .
(4) المقتضب: 186/3 .
(5) رسالة الحدود: 68 .
(6) أسرار البلاغة: 261 .
(7) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح : 964/2 .
(8) المصدر نفسه: 965/2.

عرّفه الجرجاني بقوله : ((النّكرة ما عمّ شيئين فأكثر وما أُريد به واحد من جنس لا بعينه))[9]، وقال الزملكاني في تعريفه للنكرة: ((ما دلّ على شيءٍ لا بعينه))[10] ،وقال القزويني في تعريف المُسند إليه: ((وأمّا تعريفه فلتكون الفائدة أتمّ ؛ لأنّ احتمال تحقيق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ، ومتى كان أقرب كان أضعف ، وبعده بحسب تخصّص المُسند إليه والمُسند، كلّما ازداد تخصيصًا ازداد الحكم بعدًا وكلّما ازداد عمومًا ازداد الحكم قربًا ، وإنْ شئتَ فاعتبر حال الحكم في قولنا: (شيء ما موجود)، وفي قولنا: (فلان بن فلان يحفظ الكتاب)، والتخصص كماله بالتّعريف))[11]، فالنكرة والتنكير في الإصطلاح مادل على شيءٍ غير معين في أفراد جنسه.

المعارف خمسة((المُضمر، ثمّ العَلَم، ثمّ اسم الإشارة، والموصول، ثمّ المُعرّف بالألف واللام، ثمّ المضاف إلى واحدٍ منها إضافة معنويّة لا تحقيقيّة، وكما تتفاوت المعارف في مراتب التّنكير، وكلّما ازدادت النّكرة عمومًا زادت إيهامًا في الوضع))[12].

ممّا لا شكّ فيه أنَّ هناك فرقاً شاسعاً بين التّنكير والتّعريف ، إذ إنَّ التّنكير في حقيقته خارج عن أقسام المعارف المشار إليها سابقاً ، في حين أنَّ التّعريف يتمّ بواسطة العديد مِن الأدوات، وهذه الأدوات تجعله مُقيّدًا لا مُطلقًا أمَّا التّنكير فهو مطلق وهذا ما يجعله ذا فوائد وأغراض ومقاصد بلاغيّة ودلالات ووظائف لا يمكن أن يؤدّى بالتّعريف فضلًا عن الجماليّة .[13]

ولأجل إعطاء صورة كاملة عن التلاؤم في هاتين الظاهرتين (التعريف والتنكير) لا بُدّ من الوقوف على قسم من آثارها، من ذلك قوله قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ المجادلة: ١ - ٣

وعند نظرنا في هذه الآيات الكريمة وجدنا أنّها اشتملت على ظاهرتَيْ التعريف والتنكير مجتمعتين لإبراز المعنى الذي أراده النّص القرآني الكريم في هذا الموضع، فمن ظواهر التّعريف (التّعريف بالعَلَميّة)، إذ تكرّر لفظ الجلالة أربع مرات وهي: (سَمِعَ الله)، و(تشتكي الى الله)، و(الله يسمع)، و(إنّ الله)، ولعلّ المُسوّغ لتكرار لفظ الجلالة (□) أربع مرات يعود إلى عِظَم القضيّة التي يعالجها القرآن ، فالمشتكي هي المرأة التي تشتكي الى الله بوساطة رسول الله (□)، ولذلك فقد كرّر البيان القرآني لفظ الجلالة أربع مرات ليشير الى عِظم هذه القضيّة وعِظم المُشتكى اليه (□)، وأنّ هذا الفعل كبير عند الله تعالى، فهذا التكرار للفظ الجلالة يتضمّن تحذيرًا عظيمًا مِن إرتكاب هذا الفعل وظلم النّساء فيه، إنّ السّياق يتحدّث عن قضيةٍ كانت موجودة وستستمر ولذلك فقد آثر البيان القرآني عدم ذكر الأسماء وأقصدُ به المُشتكي (المرأة) والمُشتكى عليه (زوجها)، فالقضيّة تعني مجتمعًا كاملًا ومستمرًا، ولم يرتكبها المُشتكى عليه فقط بل كانت موجودة مِن أسرار البيوت ولكنّ النّساء لحيائهنّ لا يستطِعْنَ البَوْح بها إلى أنْ تمكنت هذا المرأة الشّجاعة التي ذكرها القرآن مِن كشفها، فلهذه الغاية وجدنا تكرار الاسم الموصول في مواضع كثيرة (التي تجادلكَ)، (الذين يُظاهرون)، (اللائي وَلَدْنهم)، (والذين يُظاهرون) للمرّة الثانية، ومِن مُسوّغات التّعريف باسم الموصول أنّ السّامع لا يهمه مَن ذكر المعرف باسم الموصول إلّا الفعل الذي فعله وهو المُتحقّق في صلة الموصول.

فصاحب القضيّة لا يهمّنا وإنّما تهمّنا القضيّة نفسها، ولهذا عُنِيَ البيان القرآني بإبرازها بوصفه المرتكِبَ لها، وهذا النوع من أنواع التلاؤم بين المضمون والسّياق في القرآن الكريم، ومِن وسائل التعريف في هذه الآيات التّعريف بالضمير في قوله (□): (الكاف في تُجادلك)، و(الهاء في زوجها)، و(الكاف في تحاوركما)، و(هنَّ)، و(الهاء في أمهاتهم مكرّرة)، و(هم في ولدنهم)، و(الهاء في به)، وهذه الضمائر في سياقاتها جاءت متلائمة مع المضمون الذي أراده النّص القرآني، فالآيات تضمّنت قصة حدَثَتْ فعلًا، وهي حكايةٌ بها سردٌ يحتاج الى وسائل ربط، وهذه الضمائر مثّلتْ نوعًا مِن الربط اللفظي والمعنوي في السّياق القرآني، ومِن المعروف أنّ الأسلوب القصصي يحتاج الى توظيف الضمائر ولا سيّما إذا كان الخبر المسرود متعلّقًا بشأنٍ واحد.

وقد أشار التعبير القرآني الى تلك القضية المهمة مع معالجاتها باسم الإشارة (ذلكم)، إذ تضمّن اسم الإشارة هذا معنى الإشارة الى القضيّة التي أثارتها المرأة ومجتمع الرجال كافة، فالتّعريف باسم الإشارة في هذا الموضع تضمّن إيجازًا بليغًا، إذ أشار الى كل ما تكلّم عن النّص القرآني في هذه القضيّة، ولكي تتجلّى صورة التلاؤم أكثر في تعاضد التعريف والتنكير في البيان القرآني في هذا السّياق لا بدَّ من الوقوف على مواضع التنكير في هذه الآيات وهي تنكير الصفة في قوله (□): (سميعٌ بصيرٌ)، وقوله (□): (لعفوٌ غفور)، وقوله (□): (بما تعملون خبير)، فالصفة جاءت على صيغة النكرة، وهذا التنكير أفاد التّعظيم. ولكن ما علاقة ورود هذه الأسماء الكريمة بصيغة النكرة في هذا السّياق؟ إنّ العلاقة مثّلت نوعاً من التلاؤم الجليّ بين المضمون والتّراكيب فالقصّة تضمّنت حقًّا مِن حقوق الزوجة وظُلمًا لها يقع مِن زوجها، وفي أغلب الأحيان لا تستطيع المرأة الحديث عن ذلك لأنّه شأن أُسَريّ فيبقى طيّ الكتمان، والمُطَّلع عليه وحده هو سبحانه وتعالى

---

[9] أسرار البلاغة: 261.

[10] البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن: 133؛ ينظر: الطراز، يحيى بن حمزة العلوي: 8/2؛ أساليب البلاغية، أحمد مطلوب: 143.

[11] الإيضاح في علوم البلاغة: 9/2.

[12] البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن: 133.

[13] ينظر: في جمالية الكلمة، حسين جمعة: 159.

چ ذ ذ ث ث چ [سورة المجادلة، من الآية:1] ، فهو سبحانه سميعٌ بشكوى العباد وبصيرٌ بأفعالهم فهذا تحذيرٌ لهم، وإذا ما عادوا عن ظلمهم فـ(إنّ الله لعفوٌ غفور) بصيغة النكرة التي جاءت لغرض تعظيم عفوه، ومغفرته صفة له وفعلًا واقعًا لعباده.

ومن يلحظ في هذه الآيات أن الله (□) أشار الى (المعمول) بصيغة التنكير والتعريف في قوله(): چ چ چ چ چ چ چ چ[سورة المجادلة، من الآية:2]، والمعرفة (القول)، ومن أغراض التنكير: تعظيم جُرُم هذا الفعل وظلم المرأة فيه، وتحقيرٌ له في الوقت نفسه ولمُرْتَكِبه أنّه مجرّد قول باللسان، ولهذا عبّر البيان القرآني عنه بصيغة التعريف بـ(ال) (القول) ، والتعريف للعهد.

ومِن ذلك قوله تعالى مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ الحشر: ٥ – ٧ [سورة الحشر، الآيات: 5-7]

وممّا يلحظ على البيان القرآني في جزء (قد سمع) غَلَبة الطّابع القصصي، إذ أخبرنا القرآن الكريم بقصصٍ واقعيّة حدثت في زمن الرسالة المباركة ، ومنها واقعة فتح خَيبر التي نزلت فيها آيات من سورة الحشر[14]، وما يعنينا في هذا المقام آيات نزلت في فتح خيبر وكما قلتُ نرى عليها الطابع القصصي، وتتجلّى فيها من خلال توظيف الأسلوب القرآني وسائل التّعريف والتّنكير بُغْية إيصال المضامين التي أرادها القرآن.

فمِن وسائل التّعريف والتّنكير بالعَلَميّة، إذ تكرر لفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى سبع مرات في: (فبإذن الله)، و(أفاء الله)، و(ولكنّ الله)، و(والله على كلّ شيء)، و(وما أفاء الله)، و(فلله والرّسول)، و(واتّقوا الله)، و(إنّ الله)، ولعلّ من دواعي تكرار لفظ الجلالة بهذا العدد) المسلمين أنّ تمكّنهم من فتح خيبر برغم صعوبتها لا يرجع الى كثرة عُدّتهم وعتادهم بل بأمر □ليتلاءم مع مضمون السّياق، فقد ذكّر الله ( ): ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ (□الله وتمكينه للمؤمنين، قال وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ الحشر: ٦ [سورة الحشر: من الآية 6]

إذًا تكرار ذكر لفظ الجلالة جاء مُتلائمًا أشدّ التلاؤم مع السّياق القرآني بهذا الموضع، ولمّا كان الطّابع الظاهر على هذا السياق هو لسرد قصّة حدثت فقد لحظنا الأسلوب الخبري المُتضمّن سرد أحداث متتالية ، وهذا السّرد احتاج توظيف وسائل تتلاءم مع بعضها، منها توظيف الضمائر بأنواعها ولاسيّما المُتّصلة كما في (التاء مِن قطعتم)، و(الهاء في تركتموها وأصولها)، و(الهاء في رسوله)، و(هم في منهم)، و(التاء في أوجفتم)، و(والهاء في عليه)، و(الهاء في رسله)، و(الهاء في رسوله)، و(الكاف في منكم وأتاكم)، و(الهاء في خذوه)، و(الكاف في نهاكم)، و(والهاء في عنه)، و(الواو في فانتهوا واتقوا). فلا شكّ في أنّ هذا العدد من الضمائر جاء ذكره للمعنى المراد ومنسجمًا مع أصول البلاغة القرآنية، فالإتيان بالضمير يُغني عن تكرار الاسم العائد عليه، فضلًا عن تأدية الضمائر وظيفة الربط بين أجزاء الكلام ، ليظهر الكلام جزءًا واحدًا متماسكًا لا يُمكن فصل أجزائه من بعضها.[15]

ومن الوسائل التي استعان بها البيان القرآني التعريف بالموصوليّة في قوله (□): (ما قطعتم)، و(وما أفاء الله)، و(مَن يشاء)، و(ما أفاء الله)، وهنا يجب أن نذكر أنّ (ما) في مواضعها الذي ذكرناها تحتمل الشّرطيّة أيضًا فضلًا عن احتمال الموصوليّة، وهذا نوع من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وهذا تعدّد أوجه التأمّل في بنية النص، ودلالة التعريف بالموصولية في هذا الموضع أنّ المعرف به المذكور عنايته متوجهة الى إبراز الحدث الذي مثّل صلة اسم الموصول ، وكما ذهب البلاغيّون الى أن المتكلّم لا يعرف من وصف المعرّف باسم الموصول غير الذي ذكره في صلته، أو أنّه لا يهمه ذكر صلة الموصول، وتعاضدَ المعرف بـ(ال) التعريف من وسائل التعبير اللغوي في هذا السّياق، إذ تكرر المعرَّف بأل في عدّة مواضع منها (الفاسقين)، و(القرى)، و(للرسول)، و(القُربى)، و(اليتامى)، و(المساكين)، و(السبيل)، و(الأغنياء)، و(الرسول)، و(العقاب)، ويمكن حمل (أل) التعريف على أكثر من دلالة، فـ(أل) التعريف في الفاسقين أفادت العهد الذكري إذ أشارت هذه اللفظة الى اليهود والمنافقين معهم الذين خرجوا على رسول الله (□)، أي (الفاسقين) في المدينة، و(أل) التعريف في (أهل القرى) أفادت أيضًا العهد الذكري لتشير الى قرى اليهود في المدينة، وتنطبق هذه الدلالة على (الرسول) وهو تعريف عهدي أيضًا، والمقصود الرسول (□)، في حين أنّ (أل) التعريف في (القرى)، و(للرسول)، و(القربى)، و(اليتامى)، و(المساكين)، و(السبيل)، و(الأغنياء)، و(الرسول)، و(العقاب)، أفادت التعريف الجنسي أي جنس الموصوفين بهذه الأوصاف ممن تنطبق عليه هذه الصفات إذ إنّ من بلاغة التعريف بـ(أل) التعريف يمثل هكذا موضوع الإيجاز وإثراء الدلالة عن طريق الاكتفاء بذكر المعرّف بـ(أل) الذي يحمل الوصف المراد.

وأدّى التنكير دوره في هذا السّياق السردي القصصي فقد تضمن عدّة مواضع في التّنكير منها (لينةٍ) أي النخلة ، و(خيلٍ)، و(ركاب)، و(دُولةً)، ولعلّ من مسوّغات التنكير في (مِن لينةٍ) للتقليل[16]، وأفادت استغراق الموصوف تحتها، فأيّ لينةٍ قطِعَت فإنّما هي بإذن الله

---

[14] ينظر: جامع البيان، الطبري: 271/23؛ بحر العلوم، السمرقندي : 426/3؛ الكشاف، الزمخشري: 500/4 .

[15] ينظر: نظام الارتباط والربط ، مصطفى حميدة: 152 .

[16] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 37/2؛ معاني النحو، فاضل السامرائي: 40/1 .

وقوّته، وكذلك التنكير في قوله (من خيلٍ ولا ركاب) أفاد العموم والشّمول، فكل خيول المعركة وركائبها لن تعني شيئًا مِن دون تمكين الله، وأمّا التنكير في (كلّ شيءٍ) فقد أفاد الكلية والعموم، فكلّ شيءٍ وإنْ دقّ وصغُرَ أو عظُمَ وكبُرَ فإنّه لا يخرج عن قدرة الله تعالى.

وتؤدّي الضمائر في العربية دورًا مهمًّا في النّص، ويمكن أن نُجسد ذلك من خلال نظرنا في جزء من سياق قرآني يتحدّث عن علاقة الكفار بالمسلمين، وسعي الكفار الى الإيقاع بالمسلمين دائمًا إن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ الممتحنة: ٢ - ٣[سورة الممتحنة، الآيتان:3،2]

وعند نظرنا في هاتين الآيتين نجدهما بُنيا على توظيف الضمائر في كلّ لفظةٍ مِن ألفاظها، منها: چ ڈ، ڈ،ڈ ، ژ، ژ، ڑ، ڑ ،ک ، گ ، گ ، گ، گ، ڻ چ ، إنّ تكرار الضمائر المتنوعة في هذا السياق يتلاءم مع خصائص التعبير القرآني في هذا الموضع، فقد بُنِيَ على ذكر فريقين هما: فريق الكافرين، وفريق المؤمنين، وطبيعة العلاقة بينهما، لذلك جاءت الضمائر الدّالة على الفريقين متجاورة ، ففي (يثقفوكم) ذُكِرَ (الكافرون والمؤمنون)، فـ(الواو) تعود على (الكافرين ، و(كم) تعود على (المؤمنين) ، وفي (يكونوا) الواو عائد على (الكافرين)، و(يبسطوا، أيديَهم، ألسنتهم، وودّوا، تكفرون) كلها تعود على (الكافرين)، في حين أنّ الضميرين العادين على (المؤمنين) هما (إليكم، تكفرون)، وفي ذلك دلالة واضحة تجلي التلاؤم بأبهى صورة، فكثرة عدد الضمائر التي تعود على (الكافرين) مقابل قلّة الضمائر التي تعود على (المؤمنين) يُشير الى حجم المكائد التي يدبرها الكافرون، وشدة سعيهم لإيقاع أنواع الأذى بالمؤمنين ، وعندما انتقل البيان القرآني الى بيان مصير الفريقين في الآخرة جاء عدد الضمائر متوازنًا لأنّ الحكم ينطبق على الفريقين، فقال (□): (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم)، الحكم الأول موجز وقاطع، والحكم الثاني في يوم القيامة يفصل بينكم لينطلق إلى القاعدة الثابتة أنه سبحانه وتعالى لا يَخفى عليه شيء من أفعال عباده كلّهم، والله بما تعملون بصير وإن كانوا كافرين أو مؤمنين، ولذا نلحظ على هذه الآية أسلوب الإيجاز في ألفاظها التي تدلّ على معانٍ كثيرة.

ومن ذلك قوله تعالى وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾الصف: ٥ - ٦ [سورة الصف، الآيتان:6،5]

جاءت هذه الآية بعد خطاب المؤمنين والتحذير من عدم الالتزام بالدين قولًا وفعلًا، وبدأت الآيتان بالتعريض بقومٍ آذوا النبي بالعصيان والكلام، لذلك نرى الكلام موجهًا للمنافقين، وقد حذر المؤمنين ممّا يؤذّي الأذى برسوله من عدم الالتزام بما جاء به ومخالفته والخروج عنه، كما أنّ قوله (□): (فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أيضًا فيه تحذير من مخالفة الرسول (□)، وفي قوله (يا قوم) تعريض بشأن قوم الرسول (□) أن يطيعوه وأن لا يؤذوه، وضرب مثال النَّبِيَّيْن موسى وعيسى لقوم المؤمنين لتحذيرهم من عدم الإخلاف بالوعد والثّبات على دينهم [17] .

فمن أسلوب التعريف والتنكير الذي تضمّنتها الآيتان لكي تفي بغرضها ومرادها نلاحظ ذكر أسماء علم أي التعريف بالعَلَميّة من (موسى) و(عيسى)، وقد ذُكرا بالاسم الظاهر لأنّ فيه تنبيهًا وتحذيراً وتعريضًا للمؤمنين بإيذاء هذه الأقوام لنبيّهم ، لأنّ في ذلك زيغ القلوب وعدم الهداية ، كما أنّه ذكر التّعريف بالعَلَميّة كنية (ابن مريم) و(بني اسرائيل) وهذا يتناسب مع مضمون الآية وتتمّة لقصة موسى الذين حادّوا الله ورسوله، فذكر اسم العلم الظاهر (عيسى) لتأييد شريعة (موسى) فتلاءم التعريف في موضع الآية، كما أنّ التعريف بالعَلَم (اسمُهُ أحمد) جاء على صيغة (أفعل) اسم التفضيل ، أي المراد يأتي من بعدي رسول هو أفضلُ مني فهو مُخلّصكم واسمه أحمد، فالتعريف باسم أحمد يتلاءم مع سياق الآية لئلّا يتبادر من لفظ اسم من أنّه العلم بالمجهول ليدلّ على ذات ميّزةٍ لأنّه غير مطابق للواقع، لأنّ الرسول الموعود لم ينادِهِ النّاس أحمد قبل نبوّته وبعده، فالتّعريف بالعَلَم لتمييزه ومعرفته، كما أنّ لفظة (أحمد) اسم مشهور في استعمالاته عند العرب بمعنى المسمّى ومعنى الشهرة في الخبر وجعله والأعلى ذات تميز ومختلف[18]، والتعريف بالعَلَم (أحمد) أفاد إدخال المهابة والروع في نفس السامع وتمييزه أكمل تمييز [19]، فضلًا عن التعريف بالضمائر في تركيب الآيتين منها: (الهاء في لقومه) والغرض منه الاختصار وأمن اللّبس بالتكرار وإعادة الذكر[20]، و(الياء في تؤذونني وانّي)، و(الكاف في اليكم مرتين)، و(الواو في تعلمون وزاغوا)، و(هم في قلوبهم وجاءهم)، فاستخدم الضمير المتكلّم (الياء وكم) في كلتا الآيتين بعد ذكر اسمَيْ العَلَم (موسى وعيسى) في قوله (إنّي رسول الله إليكم)، كذلك (ضمير الواو في تعلمون وأزاغوا) لأنّ المقام مقام المتكلّم، وأصل الخطاب لبيان معين وغير معين ويعمّ كلّ مخاطب، أمّا ضمير (هم) فللغيبة حتى يرتبط الكلام بعضه ببعض، ولأن فيه عرض قصص الأنبياء مع أقوامهم وخطابهم اليهم، وجاء بـ(لِمَ) في (لِمَ تُؤذونني) فالإستفهام يفيد التّوبيخ والإنكار ثم سبق (قد) الفعل المضارع ولم يأتِ بالماضي للدلالة على أنّ علمهم بأنّه رسول الله يتجدّد بتجديد الوحي والآيات، وفية زيادة تحذيرٍ لهم.

---

[17] ينظر: جامع البيان، الطبري: 358/23 ؛ بحر العلوم: 443/3 .
[18] ينظر: التحرير والتنوير،ابن عاشور: 183/28 .
[19] ينظر: حاشية الدسوقي : 24/1؛ البلاغة فنونها وأفنانها: 299.
[20] نظام الإرتباط والربط : 153 .

كما أنّ من وسائل التعريف (التعريف بأل) منها: (القوم)، و(الفاسقين)، و(التوراة)، و(البيّنات)، و(أل) التعريف في هذه المواضع للعهديّة لأنها دخلت على اسم معروف عند السّامع لأنه سبق الذكر له [21]، كذلك استخدم اسم الإشارة (هذا) في قوله: (هذا سحرٌ مبينٌ) فهذا اسم إشارة للقريب نوع آخر من التعريف، وأفادت كمال العناية به وتمييزه وتعيّنه لاختصاصه بحكمٍ بديع حيث أبرزه في معرض المحسوس[22]. وهذه المواضع للتعريف تتلاءم مع مضمون الآيتين في إنذار وتحذير المؤمنين في ثباتهم على الإيمان بالله ورسوله مِن خلال قول النّبِيَّيْن (موسى وعيسى) لأقوامهم. ونلحظ أيضًا في الآيتين مواضع للنكرة منها: (قوم)، و(قلوبهم)، و(مُصدّقًا)، و(مُبشّرًا)، و(سحرٌ مبين) والتي أدّت دورها المهم في إبراز غرض الآيتين، فنداء موسى لقومه بـ(يا قوم) لمّا أزاغ الله قلوبهم أي مالوا عن الحق وآذوا نبيهم و وصفهم بالفاسقين للإشارة الى الفسق الذي دخل القوم فيه، ولفظة (مُصدّقًا) جاءت نكرة وهي تفيد التعظيم والتنبيه على التّصديق بمعنى التقرير والأعمال على وجه الجملة وأبرز أحكامها ، ولا يخرج ذلك أنّه قد تغيّر شيء مِن أحكامها بوحي من الله عزّ وجلّ تناسبًا لأحوال القبيلة، ولفظة (مُبَشِّرًا) أيضًا نكرة أفادت التعظيم[23]، لأنّه يشير الى أمر عظيم النفع لهم ويلزمه السرور لأنّه متعلّق بمجيء رسول مُخلّص الناس مِن الظّلمات الى النور، وفي لفظة (مُبشّر) إشارةً على أنّ عيسى (□) ليس هو المُخلِّص المُنتظَر، إنّما المُنتظَر هو رسولٌ يأتي بعده، كما أنّ تنكير لفظتي (سحرٌ مبين) أفاد التعظيم أيضًا لأنّ المقام في سيرة الأنبياء.

ومنه أيضًا قوله تعالى يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ [سورة الجمعة، الآيات:1-3]

بدأت الآية بتسبيح لله تعالى بِاستخدام فعل المضارع (يسبح) للتجدد والاستمرارية في التسبيح لله ما في السماوات وما في الأرض، ثمّ ذكر صفات الله تعالى (الملك القدّوس العزيز الحكيم) دلالةً على التنزيه لله سبحانه عن النقائص، ونزلت السورة لتحذير المؤمنين عن عدم الالتزام بصلاة الجمعة بسبب الانشغال بأمور الدّنيا ، لذلك افتتحت السورة بمقدّمة مُلفتة وبارعة تتناسب مع غرض السورة التحضيض على أداء صلاة الجمعة وعدم الانشغال والانصراف عن الصّلاة بسبب الخروج للتجارة، فسبحانه بعث للناس رسولًا منهم وهو أُمِيٌّ ليتحدّى به اليهود بأنّه بعث رسولًا مِن الأمّيّين ليعلّمهم، وأن ذلك فضل من الله يتلو الآيات على المؤمنين ويعلمهم الحكمة، وتحد بمعجزة الأمّيّة في الرسول (□) فمع أنه أمِيٌّ لكن أتى بجميع الفوائد، وهذا مناسب لمضمون الآية في بعث الرسول والدعوة لتطهير الخَلق من الرّجس والشّرك.[24]

ففي هذه الآيات أساليب تعريف وتنكير يؤدّي دوراً بالغ الأهمية لتحقيق أغراض الآية، فنلحظ تكرار (ما) الموصولة مرتين (ما في السماوات)، و(ما في الأرض)، ولفظ (ما) واسع الاستعمال يحمل أكثر من معنى، وبناء (ما) متفق مع استعمالاتها الواسعة ، لأنّ مدّة الألف المتّسعة في آخرها تشكل وتتفق في اتّساعها للمعنى، وعدم خلوها من الإبهام ، ولهذا في آخرها الألف لأخذ مدٍّ واتساعٍ في أثناء النطق بها، وتُستخدم لما لا يعقل وعلى صفات العقلاء[25]، والتعريف بما الموصولة تلاءم مع تنزيه الله سبحانه من النقائص وقصد التعظيم بذكره[26]، كما أنّ التعريف باسم الموصول (الذي) بعد الضمير (هو) أفاد التخصيص، وكذلك التعريف (بأل التعريف) في (الملك)، و(القدّوس)، و(العزيز)، و(الحكيم)، و(الكتاب)، و(الحكمة)، وهي داخلة على صفات الله (□) وهي أل الاستغراقية لأنّه داخلة على الصفات الخاصة بالله عزّ وجل، وهذه الصفات مطلقة لله تعالى [27]، ولا يخلو تركيب الآيات من التعريف بالضمائر لأهميتها في تماسك النّص ، والضمائر: (هو) في موضعين (هو الذي بعث) و(وهو العزيز الحكيم)، و(هم) في العديد من المواضع (منهم مكررة مرتين، عليهم، يزكّيهم، يُعلّمهم، بهم)، و(الهاء) في (آياته)، و(الواو) في (كانوا، يلحقوا)، فالضمائر البارزة لها علاقة ارتباط قوية بين الحال وصاحبها، بحيث نشأ منع جواز فهم الضمير (هو) أن تكون إشارة الى آخر غير المذكور، وجاء بالضمير البارز في الموضعين لمنع اللبس أي الدلالة على الحال، وعلاقة الارتباط هنا اقتضت ذكر الضمير المنفصل (هو)[28] ، أما ضمير الغيبة (هم) فلأنّ المقام مقام الغيبة، وهي كون الشيء لا مُتكلّم ولا مُخاطب، والمراد أن المُسند اليه مذكور أو في حكم المذكور لوجود قرينة دالة عليه[29]، وهذه الضمائر تلاءمت مع عظمة وقدرة الله (□) في بعث رسولٍ لخلقِه، وتعريف هذه المواضع بمعناه مقيّد لأنه كان مطلقًا، لأنّ التعريف يتم بواسطة أدوات وهذا ما يجعل المتلقي

---

[21] ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: 311 .
[22] ينظر: مفتاح العلوم: 183/1؛ خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى: 244 .
[23] ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: 40/1 .
[24] ينظر: روح المعاني: 28/ 93 ؛ ينظر: التحرير والتنوير: 207/28- 209 .
[25] ينظر: معاني النحو: 130/1 .
[26] ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: 307 .
[27] البلاغة فنونها وأفنانها: 311 .
[28] ينظر: نظام الارتباط والربطا: 156 .
[29] ينظر: حاشية الدسوقي: 1/ 557 ؛ في جمالية الكلمة: 126 .

يعتقد أنّ المعرفة أوضح من النكرة، والنكرة مُبهمة وخفية وتؤدّي أغراضًا معيّنة لا يمكن أن يؤديها التعريف لا من الناحية اللغوية ولا البلاغيّة ولا الدلاليّة[30] .

ومن ذلك أيضًا قوله يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ [سورة التغابن، الآيتان: 9،10]

حديث الآيتين في يوم البعث أي يوم التغابن، بمعنى يغبن فيه الكافر نفسه أي يظلم نفسه، ويتعين منزلتهم في النّار، فمَن آمن بالله ورسوله وأدّى الفرائض يُكفّر عنه سيّئاته فيفوز بالجنة الموعودة، ومَن كفر بالله ورسوله ولم يؤمن بآياته فهم أصحاب النار، والتغابن مُستعار من تغابن القوم في التجارة، فمنهم مَن نجى نفسه بالإيمان والعمل الصالح لأنّه راسخٌ فيه، ومنهم كافر فقد كفر بآيات الله ولم يؤمن بها، ولكلٍّ من المؤمن والكافر منزلة في الجنة والنار[31] ، فتركيب الآيتين مكوّن مِن أساليب التعريف والتنكير كي يؤدّي المراد منها، فبالنسبة لأساليب التعريف نرى التعريف بالضمائر منها: (كاف المخاطب في يجمعكم)، و(الهاء في سيئاته ويدخله)، و(الهاء في تحتها وفيها)، و(الواو في كفروا وكذّبوا)، ونلحظ أيضًا التعريف بالإضافة في (ليومِ الجمع)، و(يومِ التغابن)، و(أصحابُ النارِ)، وكذلك التعريف بأل في (الفوز العظيم) و(المصير)، و(التغابن)، كذلك التعريف بإسم الإشارة في (ذلك يوم)، و(ذلك الفوز العظيم)، و(أولئك أصحاب النار)، والتعريف بالموصولية في (والذين كفروا)، أمّا بالنسبة للتنكير فمنه (صالحًا) و(جناتٍ).

وممّا لا شك فيه وجود تلاؤم بين هذه الأساليب والحديث عن يوم التغابن، فنلحظ مستهلّ الآية ضمير المخاطب في (يجمعكم) ذلك لأنّ في الآية توجيهاً ونصحاً وتحذيراً ووعداً ووعيداً وخطاباً للمؤمنين والكفار، أعقبه اعتراض في جملة (ومَن يؤمن بالله ويعمل صالحًا نكفر عنه سيئاته) مفيدًا التهويل فهذا اليوم الذي يتعرض فيه المشركون بسوء المنقلب، فالإرتباط بين هذه الجمل وما بعده تمّ بواسطة الضمائر في أشكالها المختلفة ليفهم المعنى المراد من الآية، فاللغة العربية تلجأ الى مثل هذه الأدوات لتربطها ببعضها ارتباطًا لفظيًّا وتؤدي المعنى خشيةً من اللبس في فهم الإنفصال، والإرتباط بين المعاني والواسطة اللفظيّة هو إمّا الضمائر البارزة المنفصلة أو المتصلة[32]، كما أن المقام مقام المخاطب ولا بُدّ أن سبق ذكره حتى يرتبط الكلام ببعضه[33]، وتوجيه النصح والتحذير لذلك اقتضت استخدام ضمير المخاطب، فضلًا عن ضمائر الغيبة الأخرى في تركيب الآيتين ودورها في ربط الجمل ببعضها، لأنّ وظيفة الربط ناشئة عن إعادة الذكر ممّا يُشكل تعليقاً وائتلافاً وربطاً ، كما أنّ المقام مقام الغيبة[34] فناسبه ضمير المتكلّم، كما أنّ التعريف بالإضافة في المواضع (ليومِ الجمع) و(يوم التغابن) و(أصحاب النار) ذلك لأنّه طريق مختصر لإحضار ذهن السامع، أو طريق موجز متضمّن للمعنى ومغنيةً عن التفصيل[35]. فالتغابن مصدر غابنه من باب المفاعلة الدالة على حصول الفعل من جانبين أو أكثر، ودلالة هذه الصيغة تكون على الواحد أو اثنين فأكثر على وجه المشاركة[36]. فخسارة البائع في بيعه ما يطلق عليه الغبن على وجه الخسران فهو مجاز مرسل[37]، و(يوم الجمع، ويوم التغابن، وأصحاب النار) تهديد للمشركين بسوء حالتهم في هذا اليوم، كما أن يوم التغابن فيه ربح عظيم للمؤمنين، وذهب القرطبي إلى أنّ هذا اليوم تمثيل لحال كلا الفريقين بأخذ أحدهم الثمن الوافي والربح، والآخر الثمن المغبون والخسارة[38]. كما أنّ التعريف بالإضافة لـ(أصحاب النار) جاء متناسبًا مع يوم التغابن.

كما أنّ التعريف جاء بـ(أل التعريف) في (الفوز العظيم) و(المصير) واللام عهدية وفيه إشارة للمعهود[39] بالوعد والوعيد، أمّا اللام في (ليوم الجمع) فهي للتعليل، بمعنى يجمعكم من أجل اليوم المعروف بالجمع لكلّ الناس وللحساب، ولام التعريف في (التغابن) لام الجنس، وفيها دلالة استعظام ذلك اليوم، أمّا التعريف بأسماء الإشارة في (ذلك يوم التغابن) فالإشارة في مقام الضمير للاهتمام بتمييزه أكمل تمييز[40]، وأفادت الاشارة للبعيد جزأيْ الجملة (وذلك يوم التغابن) قِصَر المسند على المسند اليه، أي قصر جنس يوم التغابن على يوم التغابن، أي قصر الصفة على الموصوف، كما أنّ التعريف بالإشارة في (ذلك الفوز العظيم) التذييل لتمييزهم تمييزًا يميّزهم عن غيرهم دون الإلتباس[41]، وأيضًا تعريف أصحاب النار بإسم الإشارة أولئك في (أولئِك أصحاب النار) أيضًا لتمييزهم عن أصحاب الجنة[42]، أمّا

---

[30] ينظر: في جمالية الكلمة: 159 .
[31] ينظر: جامع البيان: 430/23؛ بحر العلوم: 455/3؛ نظم الدرر: 105/20 .
[32] ينظر: نظام الارتباط والربط : 195 .
[33] ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: 299.
[34] ينظر: حاشية الدسوقي: 24/1 .
[35] ينظر: خصائص التراكيب: 211 .
[36] ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري: 222 .
[37] ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : 234/2؛ المنهاج الواضح للبلاغة: 134/1 .
[38] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 122/18.
[39] ينظر: الطراز: 12/2؛ مواهب الفتاح: 212/1 .
[40] ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: 94/4؛ معجم المصطلحات البلاغية: 284/1 .
[41] ينظر: حاشية الدسوقي: 26/1؛ خصائص التراكيب: 200 .
[42] ينظر: جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي : 112؛ معجم المصطلحات البلاغية: 284/1 .

التعريف بالاسم الموصول (الذين كفروا وكذّبوا) فهم الذين لم يستجيبوا للدعوة فثَبُتَ أنهم أصحاب النار، وجاء بالجملة الاسميّة الدالة على الثبات لأنّهم ثبتوا على الكفر والكذب وعلى هذا تفيد التحقير .[43]

أمّا السياق الذي ورد فيه تنكير (صالحًا) و(جنّاتٍ) فتفيد التعظيم والتكثير[44]، فـ(صالحًا) صفة للمصدر بمعنى عملًا صالحًا تعود على المشركين، أي مَن يؤمن من المشركين بعد هذه الموعظة ويكفِّر عن سيئاته ويترك الأعمال الفاسدة فله الوعد ويدخله جنّاته، وتنكير (جناتٍ) للتعظيم، لِعِظَمِ ما فيها إذ فيها من النعيم ما لم تره العين، ويحتمل أن يكون للتنويع على اِعتبار تنوّع ألوان النعيم في الجنة.

الاستنتاجات

- ❖ قرر علماء المعاني أنَّ نظم الكلام في حقيقته انعكاس محسوس لمعانٍ نفسية تتركب في نفس المتكلم أولا، وتخضع لأمزجته ومشاعره، وعلى أساس تركيبها في نفسه اختاروا لها الألفاظ المناسبة في تركيب تتوافق أولاً مع قواعد اللغة ، وتتلاءم مع جماليات البلاغة ، والتعريف والتنكير بوسائلهما التي وضعها علماء العربية هما في حقيقتهما تعريف وتنكير تقسيمان وهذا مايقال في كلام البشر .
- ❖ وفيما يخص هذين الأسلوبين في كتاب الله تعالى ، ولاسيما في سور جزء (قد سمع) ، فإنهما أي (التعريف والتنكير) كانا وسيلة البيان القرآني المعجز في إضفاء خاصية التلاؤم البلاغي على اللغة القرآنية ، فقد وظف البيان القرآني وسائل التعريف الستة في العربية وهي : التعريف بالعلمية ، وبالضمير ، وبالموصولية ، وباسم الإشارة ، و(أل) التعريف ، والتعريف بالإضافة إلى أحد المعارف ، وماكان غير داخل في هذه الأدوات السته فهو نكرة ، ولذا فقد وظف البيان القرآني التعريف بالموصولية والعلمية والضمائر وأسماء الإشارة في البيان القرآني في جزء (قد سمع).

ثبت المصادر والمراجع

1. أساليب بلاغية، الفصاحة ـ البلاغة – المعاني، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات ، الكويت، ط 1 ، 1980 م.
2. أسرار البلاغة فى علم البيان، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471 هـ) المحقق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422 هـ ، 2001 م.
3. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت 739هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت، ط3، د.ت.
4. بحر العلوم (تفسير السمرقندي) ، نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي، أبو الليث (ت375)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413 – 1993هـ.
5. تفسير الضحاك، (105هـ)، جمع ودراسة وتحقيق، د. محمد شكري أحمد الزاويتي، دار السلام، القاهرة ، مصر، ط1، 1419هـ، 1999م.
6. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت651هـ)، تحقيق: د. خديجة الحديثي، د.أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1394هـ، 1974م.
7. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت 1425هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ط1، 1416 هـ ، 1996 م.
8. البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط4، 1417هـ، 1997م.
9. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) تحقيق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، د.ط، 1428هـ، 2007م.
10. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت 654هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، دار النشر: الجمهورية العربية المتحدة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط1، 1383هـ، 1963م.
11. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1422 هـ - 2001 م.

[43] ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : 425/1؛ أساليب بلاغية: 148 .

[44] ينظر: عروس الأفراح: 203/1؛ خصائص التراكيب: 217؛ جواهر البلاغة: 121 .

12. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، د.ط، 1422هـ، 2001م.

13. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، دار النشر: المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1999م.
14. حاشية الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت 1230هـ) على مختصر السعد الإمام سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت 792هـ)، شرح تلخيص المفتاح للإمام جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني(ت739هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ، 2002م.
15. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى، دار النشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط 4، 1416هـ، 1996م.
16. رسالة الحدود، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت 384هـ) تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر ، عمان، الأردن، د.ط، د.ت.
17. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي البغدادي (ت 1270هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

18. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت 745هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1423 هـ ، 2002م.

19. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت 773 هـ)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار النشر: المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان، ط 1، 1423 هـ ، 2003 م.
20. في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2002م.
21. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: 180هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408 هـ - 1988 م

22. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407 هـ، 1987م.
23. معاني النحو، فاضل السامرائي: 40/1، دار الفكر للنشر-عمان، الأردن، ط1، 2017.
24. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط 1، 1403هـ، 1983م.
25. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ - 1979م.
26. مفتاح العلوم المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 2، 1407 هـ، 1987 م.
27. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ - 1979م.
28. المقتصد في شرح الإيضاح: 964/2.
29. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: 285هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، الأولى 1415ه – 1994م.
30. المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عونى، دار النشر: المكتبة الأزهرية للتراث. د. ط، د.ت.
31. مواهب الفاتح في شرح تلخيص المفتاح، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن يعقوب المغربي (ت 1128هـ) ، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م.
32. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، لبنان، ط1، 1997م.
33. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، 1404هـ، 1984م.

Bibliography

1. Abaas , F. (1997): Al-Balaġa , Fununiha, wa Afnaniha. Jordan: Dar Al-Furqan, 4th edition.
2. Abu Al-Aba's, M. (1994): Al-Muqtadab. Beirut: Alam Al-Kutub, 1st edition.
3. Abu Musa, M. (1996): Khasas Al-Tarakeeb , Dirsa Taleelya Li Mas'al Ilm A;l-Dlala. Qairio: Publishing House, Maktabat Wahba
4. Al-Baghdadi, Sh. (1270 AH): Ruh Al-Ma'ni Fi Tafsir Al-Qura'n Al-Aẓim Wal Sab' Al- Mathani. Beirut: Dra Iḥya' Al-Turath Al-Arabi.
5. Al-Baqai, A.(1984): Nuzum Al-Durar Fi Al- Ayyat Wa Al-Suwar. Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami.
6. Al-Danuri , A. (2007): Taweel Mashkil Al-Qura'n. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
7. Al-Dasuqi, M. (2002): Ḥsyat Al-Dasuqi. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya,1st edition.
8. Al-Dimashqi, A. (1996): Al-Balaġa Al-Arabiyya , Ususaha , Ulumiha , wa Fununiha. Beirut: Dar al-Qalam, Damascus, al-Dar al-Shamiya, 1st edition.
9. Al-Edwani, A. (1963). Tahrir Al-Ṭahbir Fi Sinat Al-Shir Wal Nathir Wa Bayan EJAZ Al-Qura'n. Egypt: Publishing House, The United Arab Republic - 1st edition.
10. Al-Hashimi, A. (1999): Jawahir Al-Balaġa Fi Al-Ma'ani Wal Bayan Wal Badi' . Beirut: Al-Maktaba Al-Asrya, 1st edition.
11. Al-Jarjani , A. (2001): Asrar Al-Balġa Fi Elm Al-Bayan. Beirut: Daru Al-Kutub Al-Elmya ,1st edition.
12. Al-Jarjani, A. (1982): Al-Muqtiṣad Fi Sharḥ Al-I ḍ aḥ: Baghdad: Dar Al-Rasheed Li Annashir, 2/964.
13. Al-Khwarizmi, Y. (1987): Miftaḥ Al-Ulum. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, vol. 2.
14. Al-Maġribi, A. (2003): Mawahib Al-Fatih Fi Sharih Talkhees Al-Fatiḥ.Beirut: Dar-Alkutub Al-ilmya. 1 st edition.
15. Al-Mutazili , A. (384 AH.): Risalt Al-Hudud. Amman: Dar Al-Fikr.
16.Al-Qizwani, M. (d. 739 AH): Al-Eḍaiḥ Fi Elm Al-Balaġa. Beirut: Dar Al-Jil, Beirut, 3rd edition.
17. Al-Qurṭubi, M. (2001): Al-Jami' Li Ahkam Al-Qura'n. Beirut:Dar Al-Kitab Al-Arabi.
18. Al-Razi, A. (1979): A dictionary of Language Standards. Baghdad: Dar Al-Fikr.
19. Al-Razi, A. (1997): A dictionary of Language Standards. Baghdad: Dar Al-Fikr.
20. Al-Sabaki, A. (2003): Arus Al-Afrah Fi Sharh Talkheis Al-Miftaḥ. Beirut: Al-Maktaba al-Asriyya, 1st edition.
21. Al-Samar Qindi, N. (1993): Baḥir Al-Ulum . Beirut: Daru Al-Kutub Al-Ilmiya, 1st edition.
22. Al-Samirya'i , F. (2017) : Ma'ni Al-Nahu . Amman: Dar Al-Fikir Li-Aṭiba' Wanashir. 1st edition.
23. Al-Talibi, Y. (2002): Al-Taraz Li Asra Wa Ulum Ḥaqa'q Al-Ijaz Beirut: Al-Maktaba Al-Asrya, 1st edition.
24. Al-Ṭubari, M. (2001): Jami' Al-Bayan An Ta'weel Al-Qura'n. Center for Research and Islamic Studies in Dar Ḥajar, Dar Hajar for printing and publishing And distribution and advertising, 1st edition.
25. Al-Zamakhshari, M. (1987): Al-Kashaf An Haqaiq Gwamiḍ Al-Tanzil. Beirut:Dar Al-Kiṭab Al-Arabi, Beirut, 3rd edition.
26.Al-Zamlkani , K. (1974): Al-Burhan Al-Kashif Fi Ijaz Al-Qura'n. Baghdad: Al-Anni Press.
27.Al-Zawiti, M. (1999): Tafsir Al-ḍaḥak. Cairo: Dar Al-Salam, 1st edition.
28. Awni, H. (??): Al-Minhaj Al-Waḍih Lil-Balaġa. Qairo: Al-Azhar Heritage Library.
29. Ḥameeda , M. (1997): Nizam Al-Irtabat Wa Al-Rabit Fi Al-Jumla Al-Arabiyya. Beirut: Maktabat Lubnan Nashirun.
30. Juma' , H. (2002): Fi Jamalyat Al-Kalima (Dirasa Jamalya Balayġaya Naqdya). Damascus: Publications of the Arab Writers Union.

31. Maṭlub, A. (1980): Assalib Balġiya , Al-Fasaḥa, Al-Balaġa, Al Maani, Kuwait: Publications Agency, 1st edition.
32.Maṭlub, A. (1983): A dictionary of Rhetorical Terms and their Development. Baghdad: Iraqi Scientific Academy Press, 1st edition.
33. Sibawayh, O. (1988): Al-Kitab. Cairo: Al-Khanji Library, 3rd edition.